المحاضرة الثالثة:

1 – 3 عوامل نشأة علم الكلام:

1-3- 1/ عوامل خارجية: – الغزو الثقافي أو الثورة المضادة: توسع المسلمين في الجغرافيا، أدى إلى تصادمهم بتاريخ وتراث الشعوب التي دخلت هذا الدين الجديد، ولكن بتفكير وعقلية تراثها الديني، فالشعب الفارسي كان يؤمن بديانات وضعية ذات أبعاد وصبغة أخلاقية، كما هو الشأن بالنسبة للزرادشتية والمازدكية والمانوية، والمصريين والشاميين المعتنقين للديانة اليهودية والمسيحية، لم تتقبل هذه الشعوب الأوضاع الجديدة ولم ترض أن تصبح مستضعفة ومهزومة لذلك شنوا حملات قافية مضادة، من اجل التشكيك في عقيدة المسلمين وبث روح الانهزام في حياتهم، متسلحين في ذلك بالفلسفة وأساليب المنطق اليوناني. وهذا ما أكده "دي بور" عندما اعتبر أن المسيحية هي السبب الرئيسي في نشأة علم الكلام. وهو نفس الرأي الذي قال به "فون كريمر" عندما اعتبر نشأة المعتزلة تعود إلى الفكر المسيحي، لأنّ أول فكرة تكلم فيها المعتزلة هي الجبر والاختيار وهي الموضوع الرئيسي الذي يدور حوله الجدل عندنصارى الشام قبل ظهور الإسلام، وان معبد الجهني قد اخذ مقالته في القدر عن نصراني اسلم ثم تنصر[1].

– مسائل الفلسفة اليونانية، خاصة تأثرهم بالمذهب الذري عند الطبيعيين، لكن المسلمين استخدموه للتدليل على وجود الله وانه العلة المباشرة للحوادث، بينما استخدمه ديموقريطس وأتباعه للتدليل على قدم الذرات وانتفاء وجود خلاء بينها، كما أن الفلسفة اليونانية قد ناقشت موضوعات كالله والعالم والإنسان، فان هذه الموضوعات نفسها كانت محل دراسة علماء الكلام. إضافة إلى مشكلات البعث والالوهية والتوحيد، والتنزيه، والقضاء والقدر، والزمان والمكان...

1 -3-2/عوامل داخلية:

[1] محمّد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1976، ص140.

– مشكلة الخلافة أو الإمامة وأثرها في ظهور الفرق، عدم ترك الرسول مَنْ يخلفه في الحكم، واختلاف المسلمين في مصدر السلطة: أهو النص، أم الاختيار، وما هو الطريق إليه أهو العقل أم النقل... (سنعود إليها في الوحدة الثالثة)

– القرآن الكريم:

– اهتمام القرآن بالتوحيد بل إن الإسلام هو دين التوحيد، إذ يقول تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون"[2]، وهو –أي التوحيد– القضية الأساسية التي يدور حولها علم الكلام، فالآية السابقة هي أساس دليل التمانع عند المتكلمين.

– دعوة القرآن إلى إعمال العقل، والحكمة، والتبصر، والنظر... : "يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب"[3]، وقوله تعالى: "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون"[4]. وقوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار"[5]، كما قال تعالى: "ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم"[6].

– الآيات المحكمة والمتشابهة، وظهور أسلوب التأويل الذي استخدمته الفرق الإسلامية للتدليل على صحة مواقفها. ولذلك يرى ابن خلدون أن علم الكلام أصيل وليس دخيل لانّ مسالة الجبر والاختيار نشأت نتيجة حب التوفيق بين الآيات المتشابهات.

---

[2] سورة الأنبياء، الآية: 22

[3] سورة البقرة، الآية :269

[4] سورة البقرة، الآية :164

[5] سورة الحشر، الآية :2

[6] سورة النساء، الآية: 83